الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

ص.ب : ٤١٢٣ بيروت ـ تلفون : ٢٣٢٨٣٢

AL-ADAB : Revue mensuelle culturelle
Beyrouth - Liban
B. P. : 4123 - Tél. : 232832

صاحبها ومديرها المسؤول
الدكتور سهيل إدريس

Propriétaire - Directeur
SOUHEIL IDRISS

سكرتيرة التحرير
عايدة مطرجي إدريس

Secrétaire de rédaction
AIDA M. IDRISS

*

الادارة

شارع سوريا ـ راس الخندق الفميق ـ بناية مروة

الاشتراكات

في لبنان : ١٢ ليرة ■ في سوريا ١٥ ليرة
في الخارج : جنيهان استرلينيان او ستة دولارات
في أميركا : ١٠ دولارات ■ في الارجنتين ١٥٠ ريالا
الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ليرة لبنانية أو ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما
حوالة مصرفية او بريدية

الاعلانات
يتفق بشأنها مع الادارة

قضية الوحدة والانفصال

بقلم مطاع صفدي

بالرغم من ان فكرة الوحدة كانت ولا تزال اكبر المحركات للثورية العربية المعاصرة (١) ، فان الاحداث السياسية الكبرى التي وقعت باسمها من قريب او بعيد ، جعلتها خاضعة لاضواء مختلفة ، ولابعاد في الرؤية الثورية ، تكشف عن تفاصيل في الموضوع نفسه ، ولكنها تفاصيل تغير من هذا الموضوع كلية .

ومهما يمكن ان يقال في اي هدف ثوري اخر ، فان هدف الوحدة يظل هو نفسه اللحمة الاساسية لاي تكوين تقدمي ، ينجم عن نضج الوعي السياسي من جهة ، وتحتمه التطورات التاريخية من جهة اخرى.

ولكن بالمقابل ، فان النكسات التي اعتورت تحقق هذا الهدف ، والقضايا الفكرية والقومية التي انضجتها هذه النكسات نفسها تلقاء الوعي الثوري ، قد جعل بعض الثوريين يندفعون دون قصد فكري واضح ، الى نقل هذا الهدف نحو المرتبة الثانية من اهتماماتهم . كل ذلك تغطية ايجابية لمرحلة السأم المترسبة عن حصائل الخيبات المتوالية. ونحن لا يمكننا الا ان نقر بأن ذخيرتنا الثورية لم تزل تتغذى بالدرجة الاولى ، من فيض الانفعالات الانسانية الطيبة . ولعل الفشل ، هو من اكثر هذه الانفعالات قدرة على البحث عن المعوضات الوجدانية والعقلية. فقليلا ما تروى الثوري العربي امام الخيبة ، وعاند في مواجهتها ، بدلا من التغطية والفرار من صورتها الشوهاء .

وهذا يجرنا في الواقع الى تلمس معنى الخيبة في العمل الثوري كتوطئة ضرورية ، لمعاودة طرح مشكلة الوحدة والانفصال ، ما دامت هذه المشكلة قد ابتليت بافدح الخيبات ، وما دامت هذه الخيبات هي التي، مع ذلك ، تحرك جدلية العمل الثوري ، في منطقتها الانسانية الذاتية ، قبل ان تكون في مخطط الواقع الموضوعي .

فبدلا من ان تعاني الثورية العربية من مركب الفشل ، والتلذذ بسلبيته، فانها ملزمة ان تعيد طرح اصالتها على بساط البحث والتحليل، في كل مرة يتلبسها هذا المركب العقيم . وانه لمن السهل ان يتراءى لنا مبدئيا ان الفشل قبل ان يكون مركبا ، فان له اسبابه الخاصة . وان هذه الاسباب ، بقدر ما بعثت على تحقق الخيبة في مرحلة سابقة ، فان وعيها في مرحلة لاحقة ، ومن خلال تركيباتها الموضوعية ، هو الذي يوله نقيضها . والمهم اولا ان نبحث عن الحركة بعد النكسة . فهي دليلنا المتبقي عن حيوية الثورية ككل . وهي التي تثبت لنا ان هذه النكسة ليست سوى جزء من الحركة ، وبالاحرى فهي لحظة معينة من تطور الثورية نفسها . انها فترة مرض في جسم حي ، لن تثير فيه الا مقاومة جديدة .

وخطوة اخرى : ان الكشف عن اسباب النكسة عملية معقدة . وذلك لانها عملية تجري في جو منفعل ، مستغرق في تشنجات اليأس ومحاولات التعويض الكاذبة المختلفة . وحتى لو سهلت رؤية هذه الاسباب ، فاننا لن نراها الا من خلال سياق تراجعي ، ينمو كله من لحظة الصفر هذه . لحظة من الترسبات الكثيفة خلفها حطام الامال والمشاريع . وفي حال الكشف عن الاسباب ، ينبغي لنا ان نضع نصب اعيننا هذا المحذور الخطير : فنحن لا نريد ان نعرف اسباب الهزيمة لكي نقوم بعملية تراجعية من التمني المقلوب ، فنقول لو اننا فعلنا كذا بدلا من كذا لما توصلنا الى هذه النتيجة . فلا فائدة مطلقا من هذا التمني المقلوب ، لانه يتوجه الى عناصر من الماضي ، حدثت ضمن سياقها العضوي الخاص ، وما كان لها ان تحدث بعد الشكل الذي وقعت فيه . فللماضي حقيقته المطلقة ، التي لا سلطان لاي ارادة ثورية عليها مهما بلغت ثوريتها وصلابتها . وكذلك ينبغي لنا ان نأخذ حذرنا من المبدأ التقليدي الشائع،

(١) هذا البحث فصل من كتاب يصدر قريبا عن « دار الاداب » .

الذي يقول بان دراسة احداث التاريخ تعطينا درسا لنحسن الصنع في الحاضر والمستقبل . فذلك المبدأ ما هو الا جزء من الفلسفة المثالية، والمحافظة في ميدان السياسة ، والتي تقف على طرف نقيض مع الفلسفات الثورية . فليس هناك درس ، بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة ، يمكن للمفكر ان يشتقه من الوقائع الماضية ، لان الاصل في الموقف الثوري انه يقوم على قدرة خارقة ، تتدخل في الاحداث نفسها ، من اجل تغييرها ، بما قد لا ينسجم مع سيالتها الواقعية الاصلية . وان هذا التدخل القسري والعنفي ، لا بد بالاحرى ، من ان يمنع التكرار ، حتى لو كانت حركة التاريخ نفسها تقوم على التكرار . وهذا ما لم يثبت امام بديهيات المذاهب التقدمية في فلسفة التاريخ .

ولكن من ناحية اخرى فان التشابه في اطر الاحداث الاساسية ، مثل الانتصارات والانكسارات ، وقوانين نشوء الدول وانحلالها ، واعمار الحضارات وغيرها ، هذا التشابه فسرته المذاهب التقدمية ، والجدلية منها خاصة ، على انه راجع الى وحدة الحركة التاريخية ، وليس الى وحدة الاحداث ، او المضمون ، الذي هو مجموعة من التفاصيل ، لها تغايرها الكمي والكيفي ، ولا يمكن ضبطه في نمطية واحدة .

واذا طبقنا هذا على موضوعنا مباشرة ، طالعتنا اولا هذه الصورة الواضحة عن التشابه في النكسات التي المت بالثورية العربية ، منذ ان دخلت مرحلة النفاعل الكبير ، بعد نكبة فلسطين ، الى يومنا هذا . ولكنه تشابه من حيث الاسم فقط ، لا من حيث حقيقة الفعل او الحدث. فنحن لا نملك الا اسما واحدا هو الفشل او الانتصار ، عن كل عملية فشل او انتصار . انه الاسم الذي يوحد بلفظة مفردة ، مجموعات من الاحداث ، لها آلية متشابهة ، ولكن مضمونها الواقعي يختص دائما بشخصية منفردة ، لا بد من دراستها للكشف عن اصالتها ذاتها .

وبمعنى آخر فان لكل تحقق فاشل في سياق الثورية تجربته الخاصة ، ومغزاه القومي ، وله ظروفه الموضوعية ، التي مهما تشابهت مع ظروف فشل آخر ، الا ان لها لونيتها الخاصة ، وشخصيتها الواقعية المتميزة .

نحن عندما ننظر الى واقعة الفشل في ذاتها ، فلا يمكننا الا ان نعتبرها واقعة سلبية بكل وضوح . ولكن الخطأ الذي نرتكبه في مثل هذه العملية ، هو اننا نرى الى الواقعة بمفردها ، ونتشبث بها ، ونمتصها في معاناة قومية شخصية ، لا تستطيع تشخيص هذه الواقعة في مجالها القومي الموضوعي .

ولنشرح هذه الفكرة قليلا :

اولا ، ان مشكلة الثورية القومية ، والثوريين القوميين ، انهم يعانون قبل ان يفعلوا . وبكلمة اخرى فان الثورية القومية تنطلق اولا من شعور بالمفارقات ، ناتج عن مقايسة قيمة بواقع . وهذا الشعور يظل حبيس الوجدان الشخصي للامة . فالموقف الثوري ضمن هذا السياق، هو نسيج هذا التفاعل بين القيمة او المثل الاعلى وبين الواقع ، بدءا من القيمة اولا .

ومن هنا تفقد الواقعة الثورية تشخيصها الموضوعي ، المنفصل عن اي تقييم وجداني . فبدلا من ان نكتشف الواقعة وهي في حدودها المشخصة ، وفي ملامحها الواقعية الخارجية عن هواجسنا وانفعالاتنا ، فاننا نعطيها غالبا طابع الازمة الفردية . وبذلك نضيع معنى الواقعة ، واكثر من هذا ، فاننا نعزلها عن سياقها التاريخي . وهذا اخطر ما في عملية الفهم القومي للوقائع الثورية . ولذلك فان هذا الفهم لن يستطيع ان يرقى ، الى اعلى من المعاناة الادبية والشعرية . وتظل عملية الكشف الفكري الشامل ، من اشق ما يواجه الثوري ، مفكرا كان او عاملا .

ان التأثر الادبي او الشعري ، لن يغير شيئا من الحادث المؤثر ، بقدر ما قد يبعث على تكونات فولكلورية ، تقنع بحالة الانفعال السلبي لدى الوجدانات الشعبية الاسيانة .

ولعل هذه الظاهرة ، كانت من اكبر نواقص العمل الثوري ، الذي كان يمنع ، بصورة عفوية ، قيام اي استيعاب فكري للمعطيات المغيره ، في سياق هذا العمل الثوري نفسه . بل ان الكيفية التي كان يتحقق بموجبها هذا العمل ، كانت تفرض باستمرار التزود من التأثرات الانية لدى الجماهير .

ولذلك ، فان العمل الثوري ، كان يظل دائما اسيرا للبدايات انه في البداية ، وهو مضطر دائما ان يبدأ . ولكنه لم يعرف الاستمرار ، الاستمرار الذي يتطلب قلبا جذريا لطبيعة هذه الثورة ذاتها . واذا ما بدا ان الواقع الثوري هو في ثورة مستمرة ، فان هذا الاستمرار ، ليس في حقيقته سوى سلسلة من البدايات ، التي لا تتخطى ابدا نقاط الانطلاق ، لتصير حقيقة ثورية ، لها ملامحها الموضوعية المستقلة ، لها ازمانها ومغزاتها ونضوجها الذاتي .

وحتى عندما كان هناك حزب منظم ، يدعي ملكية الثورية العربية ، فانه لم يعرف في تاريخه ، الطويل نسبيا ، اي سياق من الاستمرار سواء في فكره الثوري ، او عمله السياسي . بل كان تاريخه عبارة عن حلقات من البدايات المغلقة ، تقوم بينها فجوات صماء ، بحيث تجعل كل حلقة ، بحركة تلمس بدائية ، لا تستفيد مما سبقها ، ولا تفيد ما سيلحقها . وهكذا ، كانت هذه الحلقات تقع في مرض التكرار العقيم . فتولد نفس الاخطاء مع اختلاف الظروف . حتى يتحول العمل الحزبي اخيرا ، الى هدف في ذاته ، بعد ان يعجز عن جعل نفسه بمثابة الاداة الحقيقية . وبذلك يتجمد الحزب ، ويؤلف من نفسه مرضا جديدا ، من اخطر امراض الواقع نفسه . لانه مرض مسلح بوعي كاذب ، يصور نفسه عكس حقيقته ، ويملك قوة الاقناع ضمن التبريرات ذات المنطق الايديولوجي المنمق .

فاذا ما مارس هذا الحزب ، عبادة نفسه ، برر هذا بان الحزب هو ضمانة الثورة للامة كلها .

واذا ما دفع بأفراده الى ممارسة الارهاب ، فتلوثت ايدي شبابه بالدم والتعذيب والقتل والسحل ، سمى الحزب ذلك بمرحلة تثبيت حكم الحزب . واذا ما وقف عاجزا عن التفاعل مع الجماهير بين الصف الثوري الحقيقي ، وبين الصف الرجعي ، في حيرة عقيمة ، فانه يخترع لنفسه خطا (ثالثا) ، يلغي حدود المعركة الاساسية ، ويصطنع وصاية كاذبة على اهداف الشعب ، يخص بها نفسه ، من دون جميع القوى الثورية الاخرى .

ان هذا الحزب ، عند كل معضل قومي حاسم ، يجد نفسه مضطرا ان يبدأ من جديد ، بطرح اهداف ، وخلق معارك داخلية ، ومعاناة تناقضات ، من مستوى التنظيم الذي لا يلبث حتى يصاب بالتشرذم والتجنح الشخصي ، الى مستوى المواقف السياسية الكبرى ، التي تتحول الى معارك جانبية ، لتغطية الساحة الاصلية .

وبالمقابل فان ثورة واحدة في عالمنا العربي ، هي التي استطاعت

صدر حديثا :

تأليف
جورج طرابيشي

سارتر والماركسية

دار الطليعة ـ ص. ب ١٨١٣

أن تحطم حصار البدايات ، وان تنطلق في عملية تكافؤ من النضوج في مختلف المستويات ، فتقفز من مرحلة مشبعة بتحقيق الهدف فيها ، الى مرحلة اعلى و تشمل . انها الثورة النموذج التي تفجرت قبل اثنتي عشرة سنة في مصر العربية . حتى لقد استطاعت تلك الثورة ان تخضع واقع ذلك القطر ، الى حتمية منطقية في انجاز المراحل المتتابعة ، اشبه ما يمكن أن يحدث في عمل فلسفي مجرد مفرغ بالتنظيم .

واما الشرق العربي ، فهو الذي ما زال يدور في حلقات البدايات المغلقة ، بين الثورة الجماهيرية العفوية ، وبين الثورة المضادة (المدروسة) . سواء نظم هذه الثورة المضادة الاستعمار عن طريق الانظمة والطبقات الرجعية في اقطار المشرق ، او عن طريق حركات يسارية زائفة ، كما هو مخطط الاستعمار الجديد اليوم .

والحقيقة ان من اجدى الظواهر الغريبة التي تكشفت عنها تجربة الثورة في هذه المنطقة من العالم ، ان تكون الثورات الجماهيرية ، هي التي ينقصها التنظيم ، والوعي الموضوعي بمخطط الفعل وتطويره وانضاجه ، وان تكون الثورات المضادة بالمقابل ، هي التي تسلح بالتنظيم والرؤية الواقعية للاحداث ، والقدرة على تحويلها الى عكس اهدافها .

ولقد تطور الاستعمار من شكله القديم الى شكله الحديث ، دون ان تتطور آلية الثورة بالمقابل . وبالتالي فانه حقق (ثورة) في تقنيته. فهو لم يعد يقتصر على استخدام فئات منتفعة من الشعوب الثائرة . ولم يعد يقف عند حدود تنمية طبقات بورجوازية غير وطنية ، لتقسيم وحدة الموقف الثوري الشعبي من داخل . بل انه يتوصل الى حدود استخدام بعض القوى اليسارية نفسها ، وهي القوى التي قام مبرر وجودها كلها على محاربة الاستعمار وادواته الداخلية .

ان بعض القوى اليسارية ، في المشرق العربي ـ بمعناه الجغرافي الحرفي ـ وهي في صراعها من اجل تملك الطاقات الجماهيرية ، انحدرت الى ذات وسائل الاستعمار ، ووجدت نفسها في موقع الاستعمار نفسه. وحققت له اهدافه بسهولة ويسر . سواء كان بينهما حلف مقصود او غير مقصود .

ولا شك ان هذه الظاهرة ، ظاهرة استخدام الاستعمار لليسار او بعض قوى اليسار العربي ، تستحق دراسة وتحليلا خاصين ، لانها ابرز صورة عن النكسة الثورية ، في هذه المنطقة من العالم العربي .

والذي يهمنا نحن من هذا الاستطراد الاضطراري ، هو الاشارة الى عملية استغفال الفكر الثوري في عقر داره ، عندما يمتد التضليل الاستعماري الى منطقة الايديولوجية العربية والى معتنقيها . وقادتها انفسهم .

فما زال مقياس العمل من اجل الوحدة ، هو المعيار الاساسي ، لاي موقف يساري عربي .

وكل تضليل آخر يريد ان يطمس هذا المعيار ، وينقله الى المرتبة الثانية من اهداف الثورية العربية ، باسم اية يسارية او حزبية (تقدمية) ، انما يفقد هذه الثورية نواتها القومية الاساسية .

ولكن بالمقابل ، فان هدف الوحدة العربية ، يغتني من مرحلة الى مرحلة في سياق التجربة والنضال . فكل تجربة ايجابية او سلبية خاصة ، تثير اسئلة جديدة . ولا تلبث هذه الاسئلة حتى تفتح افاقا جديدة من الفهم والاستيعاب الفكري .

وبذلك فان هذا الهدف ، ليس تثبيتا جامدا للثورية . بل انه هدف يتضح هو ذاته ، من خلال العمليات المتتابعة من اجل تحقيقه . ويتجدد مع كل منعطف قومي ، حتى انه يظل هو المعيار لاية يسارية عربية .

ولو حاولنا الان ان نستعرض مراحل نمو هذا الهدف في الوحدة عبر منعطفات النضال القومي ، لاستطعنا ان نقف بكل سهولة ، على الطابع الدينامي والانضاجي لتوضيح فكرة الوحدة ، وهي في سياق العمل الثوري .

***

اننا ، دون ان نستغرق في بحث تاريخي مطول ، نستطيع ان نشير الى ان طاقة الوحدة العربية ، كانت هي المحرك الاساسي والعميق والمستمر ، لاكبر الاحداث التاريخية للامة ، منذ مراحل الجاهلية والاسلام الاول والانحلال (1) ، ثم اليقظة الجديدة المعاصرة ونكتفي الان بدراسة التطورات الفكرية والحضارية والنضالية التي طرأت على مفهوم الوحدة خلال مرحلة اليقظة العربية المعاصرة ، ضمن خطوط عريضة سريعة .

لا شك ان البديهية الاولى التي استفاق عليها وعي اليقظة ، هي ان البديل الوحيد لكل شرور الواقع المتدهور في مختلف مظاهره الانسانية والمادية ، هو لم شعث الامة العربية ، بعد تحريرها من الاستعمار التركي ثم الغربي . ان هذه البديهية تتضمن نزعة عميقة لفهم مشكلة الامة العربية القليدية والجوهرية في آن واحد . ولكن فجر اليقظة ما كان ليستطيع ان يتصور الوحدة الا كمستقبل مثالي ، يعوض الامة عن كل مظاهر انحلالها . وبذلك فقد اتخذت الوحدة اذن صورة النزوع نحو الكمال ، او التحقيق الطوباني .

فمثلما كانت ثقافة القرن السابع عشر والثامن عشر في اوروبا ، تطرح على الوجدان القومي اهداف الحرية والمساواة والعدالة ، بصورة شعرية ادبية ، كذلك فان الرواد الاوائل لليقظة العربية ، كانوا ينادون بالوحدة ، وهم يتمثلون من خلالها تلك الجنة القومية للوسط الطبيعي المساعد على تفتح انسانية الامة خارج عقباتها وامراضها الداخلية والخارجية .

وينبغي ان نعترف اولا ان هذا المضمون الطوباني للوحدة ، لم يكن خطأ ، او تعبيرا عن قصر نظر في الفهم الواقعي . ولكنه مضمون مشروط بظروف التفتح الاول لامكانيات اليقظة ، التي تنصف عادة بالرؤية العريضة للواقع ، والطموح الاخلاقي الشارد لاستبدال عقد الذل والمهانة وامراض التخلف التي تنكشف امام وعي حالم .

وكذلك ينبغي ان نشير الى ان هذا البعد الاخلاقي الطوباني لفهم الوحدة ، بقي مغلفا لتيار العمل الثوري حتى مراحله الاخيرة اليوم ، لدى اكثرية العاملين في الحقل القومي .

واذا كان هذا البعد يبدو طبيعيا في فجر اليقظة ، الا انه سوف يتحول الى مركبات خطرة ، في مراحل متأخرة من نمو العمل الوحدوي.

وربما كان من ابرز مظاهر هذه المركبات الخطرة عدم تحديد الصورة العملية لاسلوب تحقيق الوحدة . فيظل هذا الاسلوب رهنا بالظروف السياسية التي تواجه امكانية التحقق الوحدوي .

وانه لمن التناقض الفاضح أن يصير المضمون الاخلاقي الطوباني للوحدة ، الى مضمون سياسي ، رهنا بظروف الحكومات وحدها ، او بالاحزاب المشرفة على هذه الحكومات .

فمن النتائج العملية التي تترسب عن هذا التناقض الفارق الكبير بين اية صورة عملية للوحدة ، عندما تتحقق ، وبين زخمها القيمي في الوجدان القومي ، بحيث يسمح هذا الفارق في تكون وسائط حزبية بين الطرفين . فتضع نفسها بالتدريج بديلا للاثنين معا .

ولكن بالمقابل ، فانه لا بد من تكون هذه الوسائط الحزبية ، التي تنظم عملية تحول المثل الاعلى الى مؤسسة واقعية لها قوتها وجدارتها في التفاعل مع غيرها من المؤسسات الاجتماعية ذات الصفة التقدمية . وبعبارة اخرى ، لما كان هدف الوحدة في بعده الاخلاقي الطوباني ، هو من نطاق المشاعر الذاتية الاولية للامة ، فانه يحمل من العمومية والشمول الغامض ، ما يجعل من المتعذر على هذا الوجدان القومي الاقتناع باية صورة لتحقيق الوحدة . هذا فضلا عن ان عمومية هذا الهدف تعطي مختلف الامكانيات المتناقضة لتصور تحققه . حتى يتراوح هذا التناقض بين البورجوازية المحافظة وبين اليسارية التقدمية .

ومن هنا جاء التصور الاول للوحدة (بين الحربين العالميتين) عاريا عن اي تحديد لشكل دولة الوحدة ، او لنظامها الاقتصادي والاجتماعي. بل كان الاهتمام القومي منصرفا اولا لتجميع رقع الوطن الممزقة في ارض واحدة . ولذلك يمكن القول ان المضمون الوطني والكفاحي ، هو

التتمة على الصفحة ٧٤ ـ

(1) لا بد من دراسة تلك الاحداث التاريخية الفاصلة على ضوء القضايا الحضارية التي تثيرها طاقة الوحدة العربية . وهذا ما سنفعله في بحث اخر .

قضية الوحدة والانفصال

تتمة المنشور على الصفحة ٣

الذي ملأ تصور الوحدة في هذه المرحلة .

فلقد كان نضال العرب ضد الاحتلال الاجنبي ، يفترض تجمع اكبر قطاع وطني ، سكاني وجغرافي ، لتعزيز المقاومة المباشرة . حتى يصح القول ان الوحدة كانت تعادل ، حسب هذا البعد ، فكرة التجميع المادي ، دون تحديد الاطار السياسي والاجتماعي لهذا التجميع .

وكذلك فان هذا البعد لفهم ومعاناة الوحدة لم يكن خطأ . بل انه يعتبر اول مكتسبات المضمون الواقعي لهذا الهدف . وسوف يظل جزءا اساسيا من مضمون الوحدة .

وعلى هذا الاساس ، فلقد تقدمت الوحدة الكفاح الشعبي في اقطار المشرق خاصة مجتمعات العواصم والمدن الكبرى . وذلك لان هذه المجتمعات كان احتكاكها اليومي بمؤسسات الاحتلال الاستعماري ، يثير فيها باستمرار غرائز التجمعات العضوية ، وهي تهددها تجمعات اجنبية مغايرة في شؤون حياتها اليومية وبدلا من ان نقول ان البورجوازية الناشئة وحدها ، هي التي قادت هذا النضال الوطني ، في المدن ، بناء على شعورها بمصالحها المادية المهددة من قبل المؤسسات الاقتصادية التابعة للاجنبي المحتل ، فان هذه البورجوازية لم تكن تملك اي وعي طبقي ، يميزها عن بقية الطبقات في مجتمع المدن المتطورة ببطء شديد نحو الشكل العصري . بل كان الطابع العضوي للمجتمع يمنع مثل هذا التمايز الطبقي .

ولنفصل هذه النقطة قليلا : اننا على سبيل الحصر ، نقول ان مدنا عربية مثل دمشق وبيروت والقدس وحيفا وحلب وحماه وحمص وبغداد والبصرة والموصل كانت ذات تركيب ديموغرافي (سكاني) يتبع نموذجا خاصا ، حتى اواخر الحرب العالمية الثانية .

واذا درسنا هذا النموذج بسرعة ، اطلعنا على وضع طبقي غريب اقرب الى التداخل العضوي ، منه الى التمايز اللامتجانس . ولا يشبهه اي نموذج من تطورات المدينة في الغرب ، الا بصورة بعيدة وعريضة غالبا .

فالصورة الاولى التي يبرز منها تركيب هذه المدينة العربية اجتماعيا ، هي صورة الاحياء المغلقة ، التي تشكل بالنسبة لبعضها دوائر شبه مستقلة ، لها وجودها الطبقي والاقتصادي والسياسي الخاص . فيتزعم هذه الاحياء بعض الاسر ذات العراقة ، المنحدرة اما عن عائلية عشائرية او رئاسة دينية وطائفية ، او سيادة ناتجة عن مناصب في الحكم ، ودوائر الدولة ، منذ ايام الاحتلال التركي . ولا شك ان هذه الزعامات لا بد ان تقترن بتفوق مادي معين . فلا الاقطاعية بمعناها الاصطلاحي ولا البورجوازية الصغيرة او الكبيرة ، هي التي تحدد هذه الزعامات الاسروية . ولكن هذا لا يمنع في الوقت ذاته ان تمد بعض هذه الاسر بسلطانها الى الارياف المجاورة للمدينة ، فتسيطر عليها . الا ان نفوذها الاجتماعي ضمن الحي والمدينة ، يتسلسل في الاصل عن التركيب العضوي الابتدائي للمجتمع المديني ، والمعقد في ابتدائية تلك.

واما العلاقات الاجتماعية ضمن الاحياء ، فتحددها صلات القرابة بالدم او التبعية العشائرية ، او الحماية المعنوية ، والطائفية . ولذلك فان هذه الصلات تفرض نوعا من التضامن العضوي ، على اساس هذه العلاقات المختلفة . واما الاحياء الفقيرة نسبيا فهي التي تظل نهبا للاحياء المتفوقة الاخرى ، فتضطر الى طلب الحماية من بعضها ضد بعضها الاخر . وكثيرا ما ظلت هذه الاحياء مفتوحة امام المنبوذين والمهاجرين والافراد والجماعات المتنقلة ، التي لا تملك اروماة اجتماعية ثابتة .

وهنالك نوع ثالث من هذه الاحياء كانت تؤلفه في الاصل بعض الجماعات الوافدة ، الحاملة لنوع من العلاقات الاجتماعية فيما بينها : اما على اساس الجنس او الطائفة الدينية او العمل اليدوي الذي تمارسه كوسيلة للمعاش .

وهكذا ينبغي ان نلاحظ ان مقياس العمل ، سواء منه الزراعي او التجاري او اليدوي ، لم يكن في هذه المدن العربية القديمة ، مقياسا سياسيا دائما للتمايز الطبقي بين احيائها ، وبين سكان هذه الاحياء انفسهم .

ولهذا يصح ان نقول ان الرابطة الاصلية التي تجمع سكان هذه الاحياء فيما بينهم ، لم تكن قومية او اقتصادية ، بقدر ما كانت رابطة ناتجة عن مجموعة من القيم والتقاليد والعادات التابعة لنموذج المجتمع العضوي ، غير المتمايز في الوظائف او الاعضاء .

وهذه الرابطة ، المنحدرة اولا ، من نظام قيمي وسلوكي — وان كان جامدا ومؤلفا — هي التي تفسر لنا هذا الحلف العفوي ، الطويل الامد ، الذي كان قائما بين المجتمع العربي والمحتل التركي . دون ان تقود هذا الحلف اية انقسامات جذرية تهدد بعداوات قومية بين الشعبين . فالدين وهو اقوى مظهر ، لهذه الرابطة العضوية ، كان يجمع بين الشعبين ، دون ان يكون ثمة تصادم بين نظامين مختلفين من المبادىء والسلوك والعادات اليومية . كما سوف يحدث بالنسبة للمحتل الاجنبي الاوروبي .

والواقع ، ان هذا التركيب الديموغرافي لمجتمع المدن العربية ، المترسب عن عصور الانحطاط ، والمستمر خلال النصف الاول من هذا القرن ، هو الذي يقدم المعنى المباشر لهدف الوحدة . فلقد كان هناك اصطدام شامل بين نظامين متغايرين كل التغاير بين المحتل والمدينة العربية . فكان نداء الوحدة المتصاعد من اعماق الشعب ، يعبر بصورة مباشرة عن الدفاع عن هذا الوجود الخام لنموذج الوحدة العضوية بين الروابط والقيم وصور السلوك اليومية لدى الفئات الاجتماعية . ولذلك لم يحمل نضال الوحدة اي نزوع نحو التغيير ، بل على العكس ، فانه في مرحلة الكفاح ضد المحتل الاجنبي ، كان حرس الوحدة الشعبي هو المحافظة ، والتمسك بمختلف الوسائل ، من اجل الابقاء على كل ما يؤلف وحدة الحياة العربية كما هي في واقعها . ولم تكن معركة الصراع بين القديم والجديد ، الا صورة أخرى محولة . عن الصراع بين نموذج الحياة التقليدية العربية ونموذج الحياة (المتفرنجة) المأخوذة عن الاجنبي مباشرة .

ان هذه المحافظة على نموذج الحياة التقليدية ووحدتها العضوية ، ما هي الا تعبير عن الدفاع الغريزي للمجتمع العربي الذي احس بخطر الفناء يحدق به من قبل المحتل الاجنبي .

فلقد كان هذا الاحتلال لا يشكل تهديدا مباشرا لامن وسلامة المجتمع العربي آنذاك فقط ، بل كان يتعدى ذلك الى القضاء على اسباب بقائه ، في غزوه المستمر بانماط الحياة الغربية ، وما تحمله من تحديات معقدة ، تكمن وراءها حضارة كاملة متقدمة مئات السنين عما كانت عليه الامة العربية .

فهدف الوحدة العربية ضمن نطاق هذا الصراع المباشر بين الغزو الحضاري وراء جنود الاحتلال ، وبين الانكماش الغريزي لانماط الحياة العربية ، كان اذن نداء غريزيا هو الاخر ، نحو المحافظة على كل ما جعل الوجود العربي يستمر فيه ، ولو ضمن شكله الابتدائي .

ولذلك فان هذه الوحدة ، فضلا عن انها نزعة نحو التجمع والتراص في المعركة ، فانها لم تكن تبحث في شكل الوحدة السياسي ، اي عن الصيغة الاقرب الى تراث الدولة العربية . فكانت الملكية او الامبراطورية او الامارة ، هي الصورة المقترحة من قبل وجدان الامة . وان كان بعض المتنورين من المثقفين العرب ، منذ مطلع هذا القرن ، كانوا ينادون بالجمهورية والديموقراطية ، الا ان هذا النداء بقي غير مفهوم من قبل الجماهير التي لم تكن مشكلتها آنذاك لتطرح عليها مثل هذا الاختيار .

ونخلص مما تقدم ان مضمون الوحدة العربية ، خلال مرحلة النضال ضد الاحتلال الاجنبي ، كان في مراتبه الواعية العليا ، عبارة عن نزوع مثالي طوبائي لفكرة التجميع السكاني والوطني ، الخالية من اي تحديد لشكل الوحدة او نظامها الاجتماعي . وكذلك كان مضمون هذه الوحدة في مراتبه الدنيا ، وفي اصوله الشعبية ، تعبيرا عن المحافظة على الكيان القائم للمجتمع العربي ، بما فيه من انماط سلوكية وتقاليد ومفاهيم اخلاقية وغيبية ، كدفاع غريزي ضد الغزو الحضاري

الكامن وراء المحتل الاجنبي .

بل ان الصورة المقترحة التي يطرحها مثل هذا المضمون لشكل الوحدة السياسي ، لا يخرج عن النمط التقليدي للدولة العربية القديمة ، كالخلافة او (الملكية الدينية) والامبراطورية او الامارة الصغيرة .

ولذلك كان من نتاج هذا التصور الشعبي ان تطلعت الجماهير في البلاد المحتلة الى ملوك وامراء العرب ، في اقطار اخرى تبدو اكثر تمتعا بالاستقلال الذاتي ، كالعراق خاصة ـ وكان فيصل وغازي قبلتين للجماهير في سوريا الكبرى ، ورمزين لوحدتها ـ والاردن والسعودية ومصر الملكية .

غير أن استقلال كل من سوريا ولبنان ، اثر الحرب العالمية الثانية، قد اعطى دفقا قوميا واجتماعيا جديدا لفكرة الوحدة . والواقع انه خلال الثلاثينيات من هذا القرن ، فان الاسر المتزعمة للاحياء المغلقة في مدن سوريا خاصة ، وبعض البلدان العربية المجاورة ، اخذت تنمو نموا اقتصاديا خاصا ، تجمع فيه بين التجارة والصناعة الالية المبتدئة والاقطاعية المجاورة للريف ، والمناصب الرئيسية في الحكومات شبه الوطنية ، التي كان المستعمر يضطر الى تاليفها احيانا تحت ضغط الجماهير الثائرة .

ثم لعبت هذه الاسر دور الوسيط بين المستعمر المحتل وبين الشعب الثائر . وراحت تنتزع من الطرفين مصالح وامتيازات سياسية واقتصادية نامية بصورة مضطردة . وهذا ما جعلنا نعتبر ان قيادة هذه المرحلة من النضال التحرري والوحدوي كان تحت قيادة البورجوازية العربية الناشئة ، شريطة ان نفهم هذه البورجوازية على ضوء التحليلات السابقة ، لنميزها عن اية بورجوازية غربية اخرى .

ان هذه الطبقة الوسيطة بين المحتل والشعب ، هي التي كانت تنظر السيادة الكاملة كوريث محتوم للمستعمر بعد جلائه عن القطر .

وهكذا جاء الاستقلال بفكرة الكيانات بدلا من ان يكون طريقا طبيعيا للوحدة . واخذت الطبقات البورجوازية في الاقطار العربية المجاورة ، الخاضعة الى انظمة جمهورية وملكية تتمسك بفكرة الكيان القطري ، وتبحث عن مبررات مختلفه لوجوده . ولكنها مع ذلك ، كانت تطرح فكرة الوحدة العربية ، من جهة اخرى . الا ان هذه الوحدة كانت تعني لدى البورجوازية العربية الناشئة ، مزيدا من اتساع رقعة التجارة والتبادل وتنقل رؤوس الاموال بين الاقطار المتجاورة .

بينما كان الجزء الاقطاعي من هذه البورجوازية يحذر من اي تغيير نحو الاتساع ، فذلك يناقض النزعة الى الاستقرار في الارض المحدودة ، والسلطان المطلق عليها ، وبالرغم من هذا التناقض بين صفوف البورجوازية : بورجوازية التجارة ، وبورجوازية الاقطاع ، وبورجوازية الصناعة الالية الناشئة ، الا ان فكرة الوحدة العربية كانت تجد قبولا عاما . خاصة وان هذه الفكرة كانت تلوح للداعين من هذه البورجوازية اشبه بحلم بعيد التحقيق . ثم ان استخدامها كهدف سياسي يومي في الدعاية لحكوماتها ، له فائدته في تحذير عواطف الجماهير من جهة ، وفي التدليل على كون هذه البورجوازية الحاكمة ما زالت ضمن السياق الطبيعي لنضال الجماهير .

واما طلائع التقدمية العربية التي بدأت تتجمع من العناصر المثقفة من مجتمعات المدن ، او من المتمدنين من الريفيين ، فلقد كانت بحاجة الى متابعة النضال ضد الاستعمار ، بالرغم من جلاء جيوشه ، او من اختفائها المباشر عن مسرح الحياة في المدن .

لقد طرح الاستقلال لبعض الاقطار ، والمعاهدات المختلفة لاقطار اخرى حول استقلال ذاتي او ظاهري ، مضمونا جديدا لفكرة الوحدة ، متأثرا بنشوء هذه البورجوازيات العربية الحاكمة ، كبديل عن حكم الاحتلال المباشر . فان الاستقلال هذا قد انشأ عقبة اخرى امام الوحدة ، بالكيانات السياسية المستقلة التي سورت حدود الاقطار المستقلة ظاهريا . وكان من جراء ذلك ايضا ان تناقضت مصالح الفئات الحاكمة، فخلقت معارك سياسية يومية فيما بينها ، تنعكس على اجراءات انفصالية متزايدة بين حدود الاقطار .

ولذلك ما لبثت التقدمية العربية ان ادركت ان النضال ضد الفئات الحاكمة هو جزء ضروري وحتمي من اجل القضاء على التجزئة .

بينما راحت هذه الفئات البورجوازية تطرح بين وقت واخر مشاريع وحدوية مختلفة ، كوحدة سورية ولبنان ، ووحدة سورية والاردن ، وسورية والعراق ، وسورية الكبرى الخ ...

وبقيت الجمهورية الناشئة في سورية متأرجحة بين محورين سياسيين كبيرين ، ثبتهما كل من الاستعمار الانكليزي والاستعمار الاميركي الجديد ، هما محور الاسرة الهاشمية بين العراق والاردن ، ومشروعها هو سورية الكبرى بما فيها العراق ، ومحور العائلة السعودية والملكية الحاكمة في مصر ، ومشروعها تثبيت الاوضاع الراهنة للكيانات القائمة في المشرق العربي ، واكتساب بعض العهود في سورية ولبنان الى صفها .

وبين نهاية الحرب العالمية الثانية وتحقيق وحدة عام (١٩٥٨) اخذت فكرة الوحدة مختلف المفاهيم والابعاد . ولكن هذه المفاهيم على اختلافها ، كانت ترجع كلها الى المضامين السياسية التي تطرحها مشاريع الفئات الحاكمة بالاتفاق مع جوانب متناقضة من الاستعمار الانكليزي والاميركي .

وبالمقابل فان مفهوم الوحدة الاصيل ، لم تستطع ان تطرحه الفئات الشعبية في هذه المنطقة الحيوية من العالم العربي ، الا بعد ان دخل الصراع ضد الاستعمار في طور جديد ، كشف فيه عن تحالفه مع الطبقات الحاكمة البورجوازية الاقطاعية ، وخاصة بعد نكبة فلسطين ، التي جاءت ذروة كبرى لكشف هذا التحالف .

ومع ذلك فان الجماهير العربية لم تنطلق ادانتها للفئات الحاكمة الا من الناحية القومية ، وليس من الناحية الطبقية ، فاعتبرتها فئات ضالعة مع اعداء الامة من استعمار وصهيونية .

ومن هنا جاء شعار الوحدة العربية ليمتح ثانية من حيوية الدفاع الغريزي للامة ضد خطر الفناء المادي الذي تمثل في تثبيت دولة باغية في قلب الوطن العربي .

ومع ذلك فان الاستعمار حاول محاولات يائسة جديدة لتحويل النضال العربي نحو معارك مصطنعة جديدة . فاراد ان ينقل الحرب الباردة العالمية بين المعسكر الرأسمالي والمعسكر الاشتراكي الى المنطقة العربية ، ويجعلها تتأثر بها من خلال الحدود التي يرسمها الاستعمار الغربي لها .

وهنا تشبثت البورجوازية العربية بمفاهيم الحرية والديمقراطية ، متلاقية كذلك مع المواقع التي حددها لها الاستعمار ، ضد الشيوعية التي لم تثر بعد اي تحد مباشر للشعب العربي ، خلا بعض مواقف الاحزاب الشيوعية في المنطقة .

فاقترنت مشاريع الوحدة التقليدية ، كسورية الكبرى ، مع الاحلاف . بل ان اميركا التي ارادت ان تستبدل مشاريع انكلترا العجوز في المنطقة ، كسورية الكبرى ، بالاحلاف (حلف بغداد ، وفراغ ايزنهاور) قدمت اسوأ فهم للاماني القومية في المنطقة . وكانت احلافها خطوة نحو الوراء بالنسبة لمشروع سورية الكبرى ، او وحدة العراق وسورية ، الذي خدع كثيرا من الطلائع المثقفة والتقدمية لما يحمل من بريق الوحدة، بالرغم من اللغم الاستعماري الذي يحمله .

ان طرح هذا التحدي الجديد عن طريق الاحلاف الاستعمارية ، قد اثار تعميقا جديدا لنضال الوحدة . فهو نقل لاول مرة فكرة الوحدة من يد البورجوازية ، التي اضطرت ان تصف الى جانب هذه الاحلاف ، لتحافظ على حماية الاستعمار لها بعد خيانتها لقضية فلسطين ، نقلتها الى الطلائع المثقفة الاقرب الى الاصالة الشعبية والنزوع العفوي للامة.

ولقد زاد في كشف هذه البورجوازية في المشرق العربي ، خروج حكم ثوري واضح وقومي تقدمي في مصر ، بسياسة تحرر كامل من الاستعمار ومؤسساته الداخلية واحلافه، واستطالاته الرجعية والاقطاعية. فانتقلت بذلك الثورية العربية الى انصع مرحلة في تاريخها الحديث ، واشملها واقواها اثرا . وكان نضال الجماهير في المشرق العربي ضد الاحلاف والبورجوازية الحاكمة يتلاقى بصورة عفوية وحتمية مع نضال الثورة الناصرية الجديدة في مصر العربية . بل ان القيادة الثورية كلها انتقلت مباشرة الى الناصرية ، كلما حققت هذه الناصرية ذروات في

قرأت قصص العدد الماضي

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٩ ـ

اتزوج كيف ؟ كيف اترك الطبال ابا علوان يدق طبلة في حارتنا وترتفع في الليل انغام المزامير ، والدنيا كلها حزن وذل وعار ؟ »

وكذا يبلور اديب نحوي القضية .. قضية احمد ، وقضية كل عربي ، ثم يعلن في صراحة ان فرحا لن يدخل بيته حتى تعود الوحدة !!

وتنتهي القصة بتعليق « الحالة » تعليقا يفسح المجال للعمل الايجابي المثمر . واذا كان اديب نحوي قد مال في نهايتها الى هتافية لم تنسجم مع « نغمة » السرد العامة ، فانه رغم ذلك ظل في المستوى الحقيقي لاحداث الكارثة . واستطيع من هنا ان ازعم ان « الهتافية » تظل مقبولة ما كانت بعيدة عن الفوغائية التي لا منطق لها على الاطلاق.

اما التكنيك فهو في جملته طريف ، وقد اودعه كل ملامح المجتمع الذي يضرب له ، الا ان محلية صوره واداؤها العفوي لم يفسدا قط العطاء المنشود .

***

وتطالعنا ايضا في عدد الاداب الماضي قصة الدكتور عبدالسلام العجيلي « لقاء كل مساء » وهي نمط مخالف للنمط السابق ، بل لعلها تذكرنا بالقصص الذي اعتاد الجيل الماضي تقديمه ، ولكنها بامكانياتها المستندة الى قواعد المدرسيين ترضي الاذواق كافة . ومن هنا يبدو ان هذا الجيل جيل انتقال ، وحاجته الى الفن مرتبطة بما اجتمعت حوله الاراء منذ القرن الماضي وبما انبثقت عنه كل المحاولات الطليعية من اجل بناء جديد .

وعلى كل حال فان الكتابة عن قصة اليوم او فن اليوم تبدو لكثير من المشتغلين في الحقل الثقافي اشبه بالمحال ، او قل جهدا ضائعا . وليس من السهل ان يحاول ناقد الصدور عن تحديد « معين » للاجناس الادبية في اطرها الجديدة ، وليس من السهل ايضا ان يضع الخط الذي يفصل تماما بين قصة يكتبها واحد كالدكتور عبد السلام العجيلي واخر كالدكتور سهيل ادريس .

ومع ذلك فقد اصبح هذا الجهد ضروريا امام كل الادباء الذين يؤثرون التعبير المباشر عن تجاربهم ، شعورا منهم بطغيان القواعدالمسبقة من حيث انها تسخر طاقات الابداع في عمليات الالتزام الفني المعقدة !

وقصة الدكتور العجيلي عادية جدا ، قرأنا مثلها عشرات ، ولم يحاول هو ان يفجأنا فيها بشيء غير عادي . ولكننا عندما نراه يلح الحاحا مطردا مع سياق الرسالة على الطابع الرومانسي لتجربة الحبالفاشل، فاننا نواجه قضية تستحق التأمل بحق ، فهل لا تزال بحاجة الى هذا النوع من الاجترار الشبقي ؟ وبم تثرينا تجربة واحد خدعته واحدة فاعتنق غيره الكلبية الى غايتها ؟

لست ادري ...

ولكن الدكتور العجيلي ـ وهو استاذ في القص ـ يشدنا الى مغامرته الساذجة شدا ، ونجد انفسنا نجيب عن احد السؤالين بقولنا : لا بد ان فينا شيئا يربطنا بمثل ذلك الاجترار الذي اقيمت عليه قصة « لقاء كل مساء » ومن ثم نحن نريده ، في حين يظل السؤال الثاني بلا جواب او على الاقل نريد الا نجعلله جوابا حتى نضع للقارىء الخطوط العامة للقصة .

م. تعذبه علاقته بفتاته س. وقد وجد نفسه مكرها على ان يكتب لها مبينا سر عذابه ، فاذا كان احد يأخذ عليه كفره بالحب الذييحلم بلقاءات في السحاب وتنهدات تحرق النجوم فلان في جعبته تجربة الدكتور يانابولس .

فمن هو يانابولس ؟

طبيب يوناني شيخ التقى به م. على باخرة حملته لاول مرة الى اوروبا ، ولقد انس به الطبيب وخصه بوده ونصحه ـ عندما رآه يهفو الى ليليان راقصة الباليه ـ بان يستمتع بشبابه الى اقصى غاية ، وعندما رأى م. الحاحه على تاكيد ذلك واستدرجه بالكلام حكى له عن اول تجربة حب خاضها وهو بعد شاب يتلقى العلم ، وكانت التجربة من النوع المحروم الذي لا يطمع في اكثر من التذكر . ذلك ان حبيبته ايدا شامسكا ابنة الكونت سيجموند شامسكي كانت مقدرة لغيره بحسب تقاليد العائلة ، وكان لا بد ان تتركه في فيينا يكمل دراسته وتعود هي الى وارسو لتتزوج . ولكنها اتفقت معه على ان تكون الساعة العاشرة والنصف من كل ليل موعدا ينظران فيه الى النجوم ، ويفكر احدهما في الاخر لمدة دقيقة واحدة .

واستمر يانابولس وفيا للعهد مدى ستة عشر عاما ، ثم ساقهالقدر اخيرا الى حيث يلتقي بحبيبته فيراها تراقص شابا مخنثا وتساقيه . وقد عرفته وذكرته ساخرة بالوعد القديم مصرحة بانها لم تكن اكثر من طائشة ارادت ان تلعب لعبة الحب التي تزخر بها روايات الغرام ، والا فكم تكون غبية لو انها وفت بوعدها في العاشرة والنصف ليلا وهذا الوقت بالذات لا يمكن ان يجمعها به ـ وهو طبيب بحار ـ على البعد لارتباط الزمن بخطوط الطول !

ودعنا بعد ذلك من ليليان فهي لا تقدم ولا تؤخر شيئا في القصة، ثم دعنا من رحلة الباخرة ورحلات يانابولس ورحلات م. فكل مكان من البيره الى كورنثيا الى باريس حيث الشانزليزيه واللوفر والفوليبرجير لا يعني اكثر من صور باهتة تطهر فجاة وتختفي فجاة دون ان تخلف اثرا واضحا .

بل دعنا من س. نفسها لان م. اكتفى بان يختم حكاية يانابولس لها بانه لم يدر اي جحيم هي الحياة اذا امتلأت بالحبيبات وافقرت من الحب ، وبانه هو ـ اي م. ـ يرقص دائما وراء فراشة الحب ولا يجد الا المتعة التي تعقبها المرارة ، وليس عند س. سوى هذه المرارة !

ثم ماذا بعد ذلك ؟

ليعد القارىء الى سؤالنا الثاني ، وسوف يعفيني من الاجابة ،

الانتصارات الداخلية والخارجية ، لم يعرفها تاريخ الثورة العربية من قبل ابدا .

حتى ان الطلائع المثقفة التي كانت تتجمع في حزب سياسي ، في المشرق ، وجدت قيادتها الحقيقية في الثورة المصرية . ولم يستطع هذا الحزبان يتابعنضاله ضد الاحلاف والمؤامراتالاستعمارية البورجوازيةفي الخارج والداخل ، الا باعتباره حليفا طبيعيا للثورة الناصرية في مصر.

وهكذا سارت الانتصارات في كل من مصر وسورية ضد الاستعمار في خطين متوازيين متساندين ، الى ان بلغت هذه الانتصارات نقطة تركيبها في عمل قومي ايجابي شامل ، كنتيجة حتمية للنضال السابق . فكان ان قامت وحدة ١٩٥٨ بين الاقليمين الشمالي والجنوبي للجمهورية العربية المتحدة .

وبذلك تحولت مختلف المضامين السابقة للوحدة العربية الى تجربة واقعية فذة ، احتملت امكانيات جمة من التحققات الايجابية والسلبية .

لقد كانت الوحدة التجربة متجاوزة للوحدة الهدف ، بكل تطلعاتها السابقة . وقدمت لاول مرة على مسرح التاريخ العربي الحديث ، حقيقة شاملة متنوعة لاعظم نوازع الوجود العربي اصالة واستمرارا .

وكانت قضية هذه التجربة تتمثل في هذا التركيب المتعارض الحاد: الوحدة كثورة ، والوحدة كدولة .

وبين هذين القطبين نمت هذه التجربة ، وعانت تناقضاتها ، وولدت مؤسساتها واثارت مشاكلها السياسية والفكرية .

وما زالت مراحل الانفصال التي تلتها تعاني من حصائل هذه التجربة ، فتعمق النضال الوحدوي والاشتراكي بمكتسباتها الايجابية ، وتعمق الفكر القومي كذلك بما طرحته من قضايا واسئلة اساسية .

وهذا ما سنحاول ان ندرسه بالتفصيل في الفصول القادمة ، ابتداء من تجربة الوحدة الى نكسات الانفصال المتتابعة ، علنا نواجه هذه الفترة المتأزمة من تاريخنا المعاصر بشيء من الجدية والمسؤولية الصادقة .

مطاع صفدي